جودةُ النَّماءِ في الخطابِ القرآنيّ

أ.م . فرقان محمد عزيز

كلية التربية الاساسية، جامعة المثنى

أ.د. طالب عويد نايف

كلية الآداب- الجامعة المستنصرية

The quality of development in the Quranic discourse

Asst. prof. Furqan Muhammad Aziz

College of Basic Education, Al-Muthanna University

Lect. Drt Talib Owaid Nayef

College of Arts - Al-Mustansiriya University

ملخص البحث

يمثل النماء التطور الذي يرتقي إليه الشيء بعد المرور بعدة مراحل؛ لأنَّه عملية تقوم على مجموعة خطوات مترابطة تراتبيا، ومن ثم فإنَّ اشباع الحاجات وجودة الانتاج مراحل متتابعة، إذ لا يتم التوصل إلى الثانية إلَّا بعد تحقق الأولى ، والعكس غير صحيح، فضلاً عن أن ليس كلّ إشباع لحاجة أو أكثر يرتقي لجودة حال سدّ نفقه من دون آخر؛ لأنَّ الفرد أو الشيء لا يصل الى المستوى المطلوب للنتاج الإيجابي الذاتي والمدمج الا بتلبية الحاجات الأساسية بما يتناسب ومقتضى الحال بما يؤدِّي الى ارتقائه ؛ إذ ترتبط جودة نماء أيّ شيء في تلبية حاجاته بما يتناسب مع نظامه الخاص بضمن النظام العام؛ سواءٌ أكانت غازاً أم غذاءً ما أم وسطاً ناقلاً ... الخ ، ومنه ما ينطوي على واحدة ومنه ما يتطلب أكثر من ذلك في الوقت ذاته؛ بحسب نوعه ومقتضى حاله، وعلى وفق ما قدّر له لضمان سلامته، وإيجابية نتاجه وديمومته فنمائه.

Abstract

Growth represents the development that a thing rises to after going through several stages because it is a process based on a set of steps that are hierarchically interconnected. Therefore the satisfaction of needs and the quality of production are successive stages. The second is not reached only after the fulfilment of the first, but vice versa is not true. In addition, not every satisfaction of a need or more elevates the quality of the state of bridging his exhaustion to the exclusion of another. This is because an individual or a thing does not reach the required level of self-integrated and positive production except by meeting the basic needs in a manner that is appropriate to the situation in a way that leads to its advancement. The quality of the growth of anything is related to meeting its needs in proportion to its own system within the year; whether it is gas, food, or a carrier medium...etc. Some of it involves one and some of it requires more at the same time according to its type and the requirements of its condition, and according to what is destined for it to ensure its safety, the positivity of its production, its continuity and its growth.

تقديم:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين... أما بعد:

فإنَّ أهمية تحديد جودة النماء تكمن في أنَّ للنماء سبلًا متنوعة مختلفة المضمار منها التنامي السلبي الذي يؤدي الى ضرر وضرار، ومنها ما يجتمع فيه من كل درب مسارٌ، فيغدو هجينا مضللاً؛ لذا كان السعي حول ما كان ايجابيًّا يؤدِّي نتاجه الى ما يمثل الازدهار جودة الذي لا يكون الَّا من منهل العليم الخبير، فكان من مضامين الخطاب القرآني، فوسم بـ (جودة النماء في الخطاب القرآني)، وانقسم على تمهيد ومبحثين: الاول المعرفة، والثاني الاطمئنان، وعلى النحو الآتي:

التمهيد:

ترتبط جودة نماء أيِّ شيء في تلبية حاجاته بما يتناسب مع نظامه الخاص ضمن العام؛ سواءٌ أكانت غازاً أم غذاءً ما أم وسطاً ناقلاً... الخ، ومنه ما ينطوي على واحدة ومنه ما يتطلب اكثر في الوقت ذاته؛ بحسب نوعه ومقتضى حاله، وعلى وفق ما قدّر له لضمان سلامته، وايجابية نتاجه، وديمومته فنمائه؛ ذلك أنَّ النماء: من " نما الشيء ينمو نموا، ونمى ينمي نماء ايضا. وأنماه الله: رفعه، وزاده فيه،... ونما الخضاب ينمو نمواً إذا زاد حمرةً وسواداً، ونميت فلانا في الحسب، أي: رفعته فانتمى في حسبه"[1]، فهو " النمو المدروس على أسس علمية والذي قيست أبعاده بمقاييس علمية سواء كانت شاملة أم تنمية في أحد الميادين الرئيسة، مثل الميدان الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو السياسي..."[2]، ومن ثم فهو التطور الذي يرتقي إليه الشيء بعد المرور بعدة مراحل؛ لأنَّه عملية

تقوم على مجموعة خطوات مترابطة تراتبيا، وبإتمامها يكون؛ أي «'بلغه وانتهى اليه'»[٣]، ومن ثم فإنَّ اشباع الحاجات وجودة الإنتاج مراحل متتابعة إذ لا يتم التوصل الى الثانية إلَّا بعد تحقق الأولى، والعكس غير صحيح، فضلاً عن أنّ ليس كل إشباع لحاجة أو اكثر يرتقي لجودة حال سد نققه من دون آخر؛ لأنَّ الفرد لا يصل الى المستوى المطلوب للنتاج الإيجابي الذاتي، والمدمج الَّا بتلبية الحاجات الأساسية بما يتناسب ومقتضى الحال بما يؤدي الى ارتقائه فالجودة 'جعل الشيء كما يجب عليه[٤]'؛ ومن ثمَّ النماء في الحياة الدنيا وللآخرة؛ قال جلَّ وعلا "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً. أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقا"[٥].

ومن مظاهر ذلك؛ أي تجلي جودة النماء، ما يأتي:

المبحث الأول: المعرفة:

يمثل إشباع الحاجة إلى المعرفة الكشف عن آفاق الأساليب المناسبة والأدوات الخاصة والمواد المطلوبة؛ بما يؤدِّي إلى التغذية المتوافقة وحاجة الكائن؛ بما يحقق المطلوب اكتفاء؛ فيظهر أثره في نتاجه متسمًا بجودة عالية، نتيجة الحصول على المعرفة التفصيلية الكافية؛ لذلك فإنَّ أفضل السبل المؤدية إليها ما يكون على وفق مشاهد تبين كيفية القيام بالأمر وآلية تضافره بتفاصيله الدقيقة وما ينطوي عليه من صوت، ورائحة، ولون، وصورة، وما ينجم عنها وكيفية تمييزها... الخ؛ ومنه:

أولاً: الوحي للنحل؛ قال جل

وعلا"وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ. وَمِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ.ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ""[٦]؛ فـ" النحل نوعان: النوع الْأَوَّلُ: مَا يَسْكُنُ فِي الْجِبَالِ وَالْغِيَاضِ وَلَا يَتَعَهَّدُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. وَالنوع الثَّانِي: الَّتِي تَسْكُنُ مزارع النَّاسِ وَتَكُونُ فِي تَعَهُّدِ النَّاسِ، فَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ. وَالثَّانِي: هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: وَمِمَّا يَعْرِشُونَ وَهُوَ خَلَايَا النَّحْلِ"[٧]؛ فقد دلت الفجوة الدلالية التي سبقت نص الايحاء عن حاجة النحل الى معلوماتية معلومات المهمة الموكلة اليهم، وكيفيتها على وفق الخصائص التي أُوجدوا عليها؛ لتأتي التغذية بـ""أَوْحى... ""لما لمهمتهم من اثر كبير في حفظ توازن البيئة ونمائها؛ لمدلولية الجمع في دال ""الثَّمَراتِ""فضلا عن دلالته؛ ففي تنقلهم من زهرة إلى أخرى تنتقل مادة اللقاح فيما بينها؛ بما يسهم في استمرار تكاثرها وسعة إنتاجها، ناهيك عن انتاجهم بما يؤدي الى شفاء مختلف أمراض مستعمري الأرض""شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ""؛ فقد انطوى الايجاز في خطابه جلَّ وعلا: ""شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوان""على اختلاف ألوانه أنواع العسل، فألوانه بحسب نوع الزهور التي يتغذى منها النحل، ذلك أنّ المستخرج من رحيق أزهار الليمون مثلا له ميزة شفائية مختلفة عن المستخرج من البرسيم أو البصل أو غيرها[٨].

فقد'اثبتت الدراسات العلمية الحديثة فوائد العسل الشفائية في بعض أمراض الجهاز الهضمي، والعصبي، والجلدي، والتنفسي، وجهاز المناعة، والأمراض التناسلية، والاستقلابية، وأمراض الشيخوخة، وغيرها'[٩]؛ إذ 'يدخل في تركيب العسل ما يزيد على سبعين مادة أهمها السكر، ويشمل خمسة عشر نوعا منه، كما يحوي ما يزيد على تسعة أنواع من الخمائر 'enzyme'واثني عشر نوعاً من الأحماض العضوية 'acides' organiques التي تنتقل الى العسل من غدد النحلة، وما يزيد على عشرين نوعًا مختلفا من الاملاح المعدنية، ومن سبعة الى خمسة عشر نوعًا مختلفًا من الأحماض الأمينية 'acides amianes'وستة أنواع على الأقل من الفيتامينات، فضلًا عن الماء، وفي كل كلغ من العسل قوّة غذائية عالية تعادل ٣٥٠٠ وحدة حرارية، أي ما يعادل ٢,٥ كلغ من لحم البقر، او ٧ كلغ من الحليب، أو ١٠ كلغ من الخضر الطازجة، فضلًا عن ميزاته الطبية الوقائية الشفائية[١٠]'.

ثانياً: قال جل وعلا'"وَإِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً.فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً.فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً. قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً. قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً. فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً. قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً.قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً.وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً.قالَ سَتَجِدُنِي

إِنْ شاءَ اللهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً. قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً. فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً. قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً. قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً. فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً. قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً. قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً. فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً. قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً. أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً. وَأَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً. فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً. وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً"[١١].

فقد مثّل نص الخطاب رحلة البحث عن المعرفة؛ لأجل تغذية ما تصبو اليه النفس منها؛ لينتقل عند الوصول إلى الضالة لأجل بغية معينة الى أسلوب الكشف عن الدلالة المركزية؛ إذ قال جل وعلا "آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً" بعد استئنافه إياه بالفاء ربطاً؛ إذ قال جلَّ وعلا "فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا" 'بيانا الى أنَّ جميع الخلق يحتاج الى معرفة،

ولا يكون مصدرَها أحدٌ سوى الواحد الأحد؛ فكل عالم معلم بعد السعي طلبا للعلم، الذي جعل بالمحاكاة والتلقي من متخصص بطرق أبوابه؛ قال جلَّ وعلا""وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ""[١٢]؛ ليعود الخطاب بعد ذلك الى مضمار الرحلة في استفهام يعلن فيه موسى عن حاجته الى المعرفة طلبا الوصول إليها تتلمذا؛ لمدلولية الفعل ""أَتَّبِعُكَ'في'قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً"" فتأتي الإجابة مشروطة بالصبر، إشارة إلى ضرورة الاشتراط؛ لضمان التوافق عقدا بين الطرفين (المعلم والمتعلم) فضلًا عن صحة الاستمرار الذي أساسه الصبر من طرفي العقد:

الأول صبر المتعلم ""قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً... قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً""؛ لما تتطلبه عملية التعلم من البدء بعرض الكليات تشويقا الى جزئياتها الدقيقة، حتى يصبح عارفا بها من نتاجاتها؛ عندها يلزم عدم المقاطعة طلبا للإيضاح في مجريات بيان المعرفة؛ ذلك أَنّ العلم بالشيء يعتمد على سلسلة مترابطة الأجزاء، لا يصل إليه إلا بعد إتمامها، ومن ثم فالاعتراض[١٣] بالاستفهام الانكاري[١٤] توبيخًا، الذي كرَّره مرتين في ""قالَ أَ خَرَقْتَها... قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً... ""يعدُّ خللا في العملية التعليمية، إذ لا يصحّ استهجان عمل من دون الإحاطة به علماً، فضلا عن حفظ المقامات... الخ.

والثاني صبر المعلم، بإعطاء أكثر من فرصة عند الإخلال بشروط العقد، او عدم النجاح في مجرياته، وقد قيدها النص بثلاث محاولات، يستوفي فيها المتعلم حقَّه في المطالبة بالاستمرار على أَن يُعزِّز كلٌّ منها، بإخطار يُنذر

بذلك؛ وقد استعمل الخطاب أسلوب الاستفهام التنبيهي؛ تثبيتا للخرق، إذ كُرِّر مَرتّين لحالتين؛ ليعلن الاعتراض الثالث بالاشتراط غير الجازم باستعمال حرف الشرط 'لو'دلالة على عدم أحقيَّة الاشتراط مقاما في "'قالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً"'كونه صادراً من الأقلّ درجة إلى الأعلى منه ممثلا الاشتراط احتباكا لولا فرضية المقام؛ بلوغ المعلم عذره في الاستمرار"'قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ"'، " والمعنى هذا فراق بيننا أي هذا فراق اتصالنا"[١٥].

وعليه فقد مثّل موسى نموذج مَن لديه حاجة لم تُغذَّ بعد، ومثّل العبد الصالح النموذج الذي أُشبِعت حاجته إلى معرفة في نموذج حي؛ أسلوبا يلتمس فيه المتعلم التفاصيل الدقيقة لمعلوماتية المعلومات، مستشعرا مجرياته، دلالة على أنَّ التعلم الميداني والتطبيقي فضلاً عن المشهدي؛ تمثّل الأساليب المثلى في تثبيت، وتمكين المتعلم من المعلومات بمعلوماتياتها؛ ليُعطي أفضل النتائج لتنميةٍ مستدامةٍ؛ إذ منع خرقُ السفينة من إهلاك أهلها جوعاً؛ لسلب الملك إيّاها، ومن دونها لا يمكنهم سَدَّ حاجاتهم بما يتناسب واستمرار نتاجهم، ومن ثم نمائهم، الذي أفاده تقديم المسبب "'فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها"' على السبب "'وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً "'؛ لأن إرادة العيب مسببة عن خوف الغصب عليها، فكان حقه أَن يتأخّر عن السبب، والجواب على ذلك انه سبحانه قدَّم المسبب على السبب للعناية به، ولأنّ خوف الغصب ليس هو السبب وحده، ولكن مع كونها للمساكين'[١٦].

أمَّا قتل الغلام؛ فقد أفادت الفجوة الدلالية بين قوله"'حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ"'وقوله"'فَقَتَلَهُ "'استقراء العبد الصالح في أثناء اللقاء أَمارات

الغلّ والقسوة انحرافا عن الفطرة السليمة، فضلًا عن معرفة صلاح والديه؛ فقطع دابر الظلم والجور، لما يؤدي إلى هلاكهما بما يقطع قدرتهما على الانتاج، ومن ثم تكاثر الصالحين؛ إذ كشف ظلال مدلول""يُبْدِلَهُما"" أن الابوين لم يهرما بعد، ومن ثم القدرة على التكاثر والنمو؛ بتأييد إسناد الدال""زَكاةً ""الذي يمثل جودة النماء وصلاح نتاجه""وَأَقْرَبَ رُحْماً"".

ومنه إقامة الجدار؛ ذلك أَنّه مثل الحاجز الوقائي لمادة أَساسية ""كَنْزٌ"" في إشباع الحاجات، الذي شاكله الاعتراض الثالث ""قالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ""تأكيدا لذلك، لكونه يمثِّل القيمة التي تقابل الحصول على ما يسدّ الحاجات باختلاف نسبها؛ ولعدم استطاعة الوارثين من إدارته وحاجاتهما مع صلاح سريرتهما احتباكا وصلاح سريرة والدهما الذي استوفى اجله قبل نضجهما رشدا بما يؤهلهما لإدارة شؤونهما بما يلزم وجودة النماء؛ لعدم بلوغهما المرحلة العمرية المناسبة لذلك؛ إذ قال جل وعلا ""وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ...وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ"".

وعليه فتحقق العلم بالمعرفة يؤدِّي الى نتائج فضلى، ومن ثم جودة النماء؛ إذ يستطيع المتغذي به استقراء الأحداث وتفسيرها الى اتخاذ القرارات الصائبة بدلاً من الهلاك والإهلاك ومنه: ما كان في قصة يوسف(ع).؛ فقد أفضت المعرفة لديه علماً الى استقراء معلوماتية معلومات رؤيا إثنين ممن معه في السجن؛ قال جلّ وعلا ""وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقالَ الآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(١٧)""؛

فكان تأويله "يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ"(١٨)'.

وقد كان لذلك العلم أثرٌ في خلاصه من السجن؛ إذ احتاج الذين تنقصهم المعرفة الى إشباعها في معرفة فكِّ شفرة معلوماتية معلومات في ذلك المجال، وكان من بينهم الملك؛ وبإسلوب الراوي العليم ينقل لنا الخطاب القرآني سلَّم جودة النماء ابتداء من السعي لإشباع الحاجة؛ وذلك في'"وَقالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ يا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ.قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعالِمِينَ.وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ.يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنا فِي سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ.قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ.ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ.ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ.وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ.قالَ ما خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حاشَ لله ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ.ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخائِنِينَ.وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي

غَفُورٌ رَحِيمٌ.وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ.قالَ اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ. وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ""[١٩].

فقد ادى نقص حاجة الملك للمعرفة إلى السعي إلى تغذيتها بالبحث عن متخصص، وكيف يؤدي نقصها إلى الضلال والاضلال؛ إذ""قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ'أي " حُزَم أخلاطٍ ليست برؤيا بينةٍ "[٢٠]، وقد افادت الفجوة الدلالية التي جاءت عقب سرد الرؤيا إلى الإرسال في طلب من يدَّعي المعرفة، وبعد مجيئهم كُشف ادّعاؤهم فاعترفوا بعدم معرفتهم'وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعالِمِينَ"" ومن ثم تضليلهم الذي يؤدي إلى نتائج سلبية تهوى بكل من يتبعها؛ لزيفها، عندها طلب الملك البحث عن متخصص؛ فأشار من أشبعت حاجته في المضمار ذاته من خلال يوسف إليه في""وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ""ليؤدي العلم الذي مكّن ليوسف؛ إشباعاً الى تخليص أمة من الهلاك جوعاً، فضلا عن تعليمها كيفية إشباع حاجاتها وصولا إلى النماء؛ فقد فكّ شفرة معلوماتية رموز معلومات رؤيا الملك؛ "" فَالْبَقَراتُ لِسِنِينِ الزِّرَاعَةِ، لِأَنَّ الْبَقَرَةَ تُتَّخَذُ لِلْإِثْمَارِ. وَالسِمَنُ رَمْزٌ لِلْخِصْبِ. وَالْعَجَفُ رَمْزٌ لِلْقَحْطِ. وَالسُّنْبُلَاتُ رَمْزٌ لِلْأَقْوَاتِ فَالسُّنْبُلَاتُ الْخُضْرُ رَمْزٌ لِطَعَامٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَكَوْنُهَا سَبْعًا رَمْزٌ لِلِانْتِفَاعِ بِهِ فِي السَّبْعِ السِّنِينَ، فَكُلُّ سُنْبُلَةٍ رَمْزٌ لِطَعَامِ سَنَةٍ، فَذَلِكَ يَقْتَاتُونَهُ فِي تِلْكَ السِّنِينِ جَدِيدًا. وَالسُّنْبُلَاتُ الْيَابِسَاتُ رَمْزٌ لِمَا يُدَّخَرُ، وَكَوْنُهَا سَبْعًا رَمْزٌ لِادِّخَارِهَا فِي سَبْعِ سِنِينَ لِأَنَّ

الْبَقَرَاتِ الْعِجَافَ أَكَلَتِ الْبَقَرَاتِ السِّمَانَ"[٢١]؛ ذلك بطلب يكشف عن ارتقاء مقام منتهل المعرفة وتأخر من دونه، وإن كان ملكاً في "'يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنا فِي..." 'ليأتي التأويل "'قالَ تَزْرَعُونَ... وَفِيهِ يَعْصِرُونَ"' وهو " خَبَرٌ عَمَّا يَكُونُ مِنْ عَمَلِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الزَّرْعَ عَادَتُهُمْ، فَذِكْرُهُ إِيَّاهُ تَمْهِيدٌ لِلْكَلَامِ الْآتِي وَلِذَلِكَ قَيَّدَهُ بِ دَأَباً. وَالدَّأَبُ: الْعَادَةُ وَالِاسْتِمْرَارُ عَلَيْهَا"[٢٢].

هذا ويفصح لنا الخطاب عن كيفية النماء بعد جودة النتاج الذي مثله التأويل المنطقي الدال على معرفة حقة؛ إذ ارسل الملك في طلبه؛ ليبوأه منزلة رفيعة عرضها عليه عن حاجة وليس امرا؛ بحسب الفجوة الدلالية[٢٣] التي أشار اليها مدلول الدال "'كَلَّمَهُ' في 'فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ"' ومن ثم له الاختيار فيما يكون له لأجل ذلك مطلقا؛ لاتباعه المسارات القويمة في اشباع حاجاته؛ فضلا عن تنميتها "'قالَ اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ. وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"' عندها مثل جودة النماء المطلق في الحياة الدنيا وللآخرة.

المبحث الثاني: الاطمئنان:

وهو حاجة يسعى المرء الى إشباعها؛ ليصل الى الاستقرار النفسي؛ لما تنطوي عليه حياته من القلق والخوف... الخ ومن ثم تلكؤ المسيرة النمائية ومن مظاهر تجلي اشباعها الفضلى؛ في خطابه جل وعلا "'وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً.إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً.إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً.فَوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً.وَجَزاهُمْ بِما

صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً[٢٤]""؛ أي يطعمون الطعام مع الرغبة به إذ "يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ"[٢٥]؛ ذلك إنَّ الوصول إلى الاطمئنان لا يكون إلاّ بالسبل المُثلى إيجابية ليحقق الرضا الداخلي؛ بما يؤدي الى نتاج أفضل والاستمرار، لكون الأمر يتعلق بمكامن النفس، ومتطلباتها بما يرضي الله، وليس من دونه، ومن ثم كانت النتائج على وفق ما تتطلبه جودة النماء في الحياة الدنيا والآخرة.

إذ لم يقتصر الأمر على معين؛ بدلالة اتصال حكم الإطعام مع الرغبة فيه إياها بالواو اشتمالا مع المغايرة؛ فقد ذكر الخطاب ثلاثة أصناف من المحتاجين والترتيب بحسب الكثرة""مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ""فالمسكين هو الذي لا يملك قوت يومه، واليتيم من مات عنه أبوه او أبواه وهو صغير، والأسير من أُخذ بالقوة في الحرب ويكون مقيد الحركة، عندها لا يصل الى ما يحتاجه، ومساعدة هؤلاء لا تكون إلا بالذهاب إليهم لأجل إعانتهم؛ لمدلولية الجواب على لسان مطعمي الطعام""إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ... "، فقد حصل حذف جملي (فجوة نصية) يدلُّ على حوار دار بينهم يشير الى امتناع من قُدمت اليه المعونة ريبة، وخوفا من المقابل؛ لأنهم في حالة يتعسر عليهم توفير حاجاتهم الأساسية، فكيف يوفروا مقابل ما يقدم لهم؛ مما يحدث توترا نفسيا، فضلا عن الإرباك فعلا؛ حينئذ كان الجواب "إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً"" مما يطمئن نفس المعطى إلى نتاج سليم وتنمية جيدة خاصة بعد أن أُكِّد الجواب بتعليل ثان كُشف فيه مكامن الغاية، بما يؤدي إلى الاقناع التام تصديقا في "إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً"" الذي شبه به اليوم بالإنسان الذي يقطب جبينه عندما يرى ما يسوءه""عَبُوساً"" مشاكلة عندئذ خاتمة نص الخطاب سياقها؛ إذ

ناسب العطاء الظاهر وناسب الشكر القصدية منه، ليفضي بعدئذ الى فجوة دلالية تنطوي على استجابة الله جل وعلا لهم لجودة نتاجهم وتنميتهم القويمة له؛ لمدلولية الزمن الماضي في الأفعال"'فَوَقاهُمُ... وَلَقَّاهُمْ... وَجَزاهُمْ... "'تأكيدا على تحققه؛ فقد جنبهم ما يخافون منه"'فَوَقاهُمُ'وأكرم منزلتهم "'وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً"' أي " وَجَزَاهُمْ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْإِيثَارِ وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنَ الْجُوعِ وَالْعُرْيِ، بُسْتَانًا فِيهِ مَأْكَلٌ هَنِيءٌ وَحَرِيرًا فِيهِ مَلْبَسٌ بَهِيٌّ "(٢٦).

وعليه فإن توفير المواد الأساسية، بما يشبع الحاجات الأولية، على وفق ما يؤدي إلى امكانية الانتاج بحسب المعايير المطلوبة وتنميته باستمرار؛ يحقق النماء بالجودة المطلوبة؛ قال جل وعلا"'لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(٢٧)"'.

الخاتمة:

الحمد لله بدءًا واختتامًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي كان للنبيين خاتمًا وإمامًا، وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين أمّا بعد:

لعلَّ أهم ما تمَّ التوصل اليه الآتي:

- يتم النماء بعد تخطي مجموعة خطوات مترابطة تراتبياً.

- إنَّ جودة نتاج أيّ شيء لا تتأتى الّا بتلبية الحاجات الأساسية بما يتناسب ومقتضى الحال بما يؤدي الى ارتقائه.

- إنَّ توفير المواد الاساسية، بما يشبع الحاجات الأولية، على وفق ما يؤدي إلى امكانية الإنتاج بحسب المعايير المطلوبة، وتنميته باستمرار؛ يحقق النماء بالجودة المطلوبة.

- إنَّ الخطاب القرآني مدلول مطلق ينطوي على الشاخص وغير الشاخص سواء أكان مشخصًا أم لا.

الهوامش:

١- العين: الخليل بن احمد الفراهيدي، ٨/ ٤٨٣ - ٥٨٣.

٢- دراسات في التنمية الاجتماعية،مدخل اسلامي: عبد الهادي الجوهري واخرون، ١١١.

٣- معجم اللغةالعربية المعاصرة:د. احمد مختار عبد الحميد، ٣/ ٢٢٨٨.

٤- ادارة الجودة الشاملة المفهوم والفلسفة والتطبيقات: أ.د. بهجت راضي وأ.م.د. هشام يوسف العربي، ١٩.

٥- الكهف ٣٠ - ٣١.

٦- النحل، ٦٦ - ٦٩.

٧- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير: محمد بن عمر بن الحسن الرازي، ٢٠/ ٢٣٧.

٨- من علم الطب الثوابت العلمية في القرآن الكريم: د. عدنان شريف، ٢٢٠.

٩- المصدر نفسه، ٢١٩.

١٠- المصدر نفسه، ٢٢٠ - ٢٢١.

١١- الكهف، ٦١ - ٨٢.

١٢- الانبياء، ٧.

١٣- الاعتراض: " هو عبارة عن جملة تعترض بين عنصري الجملة وتفيد زيادة في معنى غرض المتكلم". علم البديع: عبد العزيز عتيق، ٣٨.

١٤- الاستفهام من أساليب الانشاء الطلبي لعلم المعاني في البلاغة يخرج لأغراض مجازية منها الإنكار لبيان أن الفعل لا ينبغي ان يكون لأنه موضع إنكار شرعا أو عرفا، أساليب المعاني في القرآن الكريم: السيد جعفر السيد باقر، ٥١؛ والموجز الكافي في علوم البلاغة: د. نايف معروف، ٥٠.

١٥- معاني القرآن وإعرابه: ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج، ٣/ ٣٠٤.

١٦- اعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين بن احمد الدرويش، ٦/ ١٧.

١٧- يوسف، ٣٦.

١٨- يوسف، ٤١.

١٩- يوسف، ٤٣ - ٥٦.

٢٠- معاني القرآن واعرابه: ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج، ٣/ ١١٢.

٢١- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد": محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن عاشور، ١٢/ ٢٨٦.

٢٢- المصدر نفسه.

٢٣- الفجوة النصية: "هي الفضاء الذي ينشأ من اقحام مكونات للوجود او للغة او لاي عناصر تنتمي... في سياق تقوم فيه بينها علاقات ذات بعدين متميزين ". في الشعرية: كمال ابو ديب، ٢١.

٢٤- الانسان، ٨ - ١٢.

٢٥- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير: محمد بن عمر بن الحسن، ٨/ ٢٨٩.

٢٦- المصدر نفسه، ٣٠/ ٧٤٩.

٢٧- المائدة، ٩٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ادارة الجودة الشاملة المفهوم والفلسفة والتطبيقات: أ.د. بهجت راضي وأ.م.د. هشام يوسف العربي، الطبعة الاولى، شركة روابط للنشر وتقنية المعلومات، القاهرة، ٢٠١٦م.

٢. اعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين بن احمد الدرويش، الطبعة الرابعة، دار الارشاد للشؤون الجامعية، حمص – سورية، ١٤١٥هـ.

٣. اساليب المعاني في القرآن الكريم: السيد جعفر السيد باقر، الطبعة الاولى، مؤسسة بوستان كتاب، قم – ايران.

٤. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد": محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (د.ط)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

٥. دراسات في التنمية الاجتماعية، مدخل اسلامي: عبد الهادي الجوهري واخرون، الطبعة الاولى، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة – مصر، ١٩٨٢م.

٦. علم البديع: عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦هـ)، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، (د.ت).

٧. العين:الخليل بن احمد بن عمرو الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٨. في الشعرية: كما ابو ديب، الطبعة الاولى، مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٨٧م.

٩. معاني القرآن واعرابه: ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الاولى، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م.

١٠. معجم اللغة العربية المعاصرة: د.أحمد مختار عبد الحميد، الطبعة

الاولى، عالم الكتب، ٢٠٠٨م.

١١. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير: محمد بن عمر بن الحسن الرازي، الطبعة الثالث، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ.

١٢. الموجز الكافي في علوم البلاغة: د. نايف معروف، بيروت، د.ت.

١٣. من علم الطب الثوابت العلمية في القرآن الكريم: د. عدنان شريف، الطبعة الاولى، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٩٠م.